﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائدة: 109]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التّمهيدُ لِذِكْرِ أَحْوالِ عيسى عليه السلام، وبيانِ مُعجزته

وردتِ الآيةُ متمِّمَةً لِلأَمرِ بإتيانِ الشَّهادةِ على وجهِها، والتَّهديدِ والوعيدِ لِمَن خالفَ حُكمَ اللّه وأوامرَهُ، في الآية السّابقة [المائدة: 108]؛ فإنّه لمّا تَمَّ الكلامُ على الاستشهاد على وصايا المَخلوقينَ، وحذَّرَهم مِن تحريف الشَّهادة، وأمَر بتقوى اللّه، ناسبَ الانتقال إلى ذِكْر شَهادَة الرُّسُل على وصايا الخالِقِ تعالى يومَ القيامة، تحذيرًا من ذلكَ المشهدِ العظيم، وتَوبيخًا لِمَن تمرَّدَ مِن أُمَمهم[1]، ولِتكونَ الآيةُ تمهيدًا لذِكْرِ أحوالِ عيسى عليه السلام، فالآيةُ متمِّمَةٌ لِما قبلَها مُمهِّدَةٌ لِما بعدَها.

والظّاهرُ أنَّ هذه الآيةَ مرتبطةٌ بسياقاتٍ متعدّدةٍ في سورة المائدة، ورد فيها ضُروبٌ من مخالَفاتِ أهلِ الكتاب، وتمرُّدِهم على أنبيائِهم وتعليماتِ كُتُبِهم، فذَكَر هنا ما يدلُّ على أنَّ اللّه سبحانه يُقرِّرُهم بموقف أقوامِهم منهم على سبيل التَّحذير لأتباع هؤلاء الرُّسلِ من تلك المخالَفات، ويدخل المُعرضون من هذه الأمّةِ ضِمنًا في ذلك التّحذير.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَجۡمَعُ﴾: الجمعُ يَدُلُّ على تَضامِّ الشَّيءِ بتقريب بعضِه من بعض، أو تضامِّ أشياءَ متجانسةٍ كثيرةٍ تلاقيًا، أو تلاحمًا، أو تراكمًا، يُقالُ: جَمَعتُهُ فاجتَمَعَ؛ أي: جاء به بعدَ أن كان متفرِّقًا، فالجَمْعُ هو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/98.

تأليفُ المُتَفَرِّقِ المتجانِسِ، وضمُّ بعضِهِ إلى بعضٍ في موضعٍ واحدٍ[1]، و﴿يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ من هذا القبيلِ، والمعنى: يجمعُ اللّهُ جميعَ الرّسلِ الّذين بعثهم إلى الخَلْقِ.

2) ﴿أُجِبۡتُمۡۖ﴾: أصلُ الكلمةِ (جَوَبَ)، وتدلُّ على قطعِ الجَوبَةِ، وهي كالغائط مِنَ الأرض، ثمَّ يُستعملُ في قطعِ كلِّ أرضٍ أو صخرٍ، وسُمّيَ جوابُ الكلام جوابًا؛ لأنَّهُ يقطعُ الجوبَ، فَيَصِلُ مِن فمِ القائلِ إلى سَمْعِ المُستمعِ، أو لأنَّ المُجيبَ أمضَى في الكلام، وأَنفَذُه إلى مَظانِّ الإجابةِ والقَبول[2]. ومعنى ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾: ماذا أجابَكم قومُكم بعدَ أن طلبتم منهم توحيدي واتِّباعَ أَمري؟

3) ﴿عَلَّٰمُ﴾: صيغةُ مبالغةٍ من عالِم، والعربُ تَقولُ: رجلٌ عالِمٌ، فإذا زادوا في المَدح قالوا: عليم، فإذا بالَغوا قالوا: علّام[3]، والعالِمُ في وصف اللّه هو الّذي لا يخفى عليهِ شيءٌ في مُلكِه، ولا يجوزُ أن يُبنَى على صيغة (فَعّال) شيءٌ من صفاتِه تعالى إلّا ما جاء منه في القرآن الكريم، أو السُّنّةِ الصّحيحة، وإن كانَ أصلُهُ ثلاثيًّا، مثل: رزّاق، ووهّاب، وخلّاق[4]، ولم يرِد (علّامُ) في القرآن وصفًا للّه تعالى إلّا مضافًا.

4) ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾: جمعُ كثرةٍ لـ (غَيبٍ)، وهو المُطمَئِنُّ منَ الأرض، ويُقال: سمعتُ صَوتًا من وراء الغَيب؛ أي: مِن مَوضِعٍ لا أراهُ، وكلُّ مكانٍ لا يُدرَى ما فيه، أو لا يُدرَى ما وراءَه فهو غيبٌ، ولهذا جاءَ الغيبُ بمعنى الشَّكِّ لِنَفي العلمِ بما لا درايةَ فيه، وكُلُّ ما غابَ عَنِ العيونِ، سواءٌ كانَ مُحَصَّلًا في القلوب، أَمْ غَيرَ مُحَصَّلٍ فهو غيبٌ[5]، ومعنى: ﴿أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾؛ أي: أنتَ تعلمُ ماغابَ عنّا من بواطن الأمور، ولا تخفى عليك خافيةٌ[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

في يوم القيامةِ يَجمَعُ اللّهُ جميعَ الرُّسُلِ ﷺ، فيسألُهم - وهو العليمُ سبحانه - عن جواب أُممهم لهم قائلًا: ماذا أجابَتكُم به أممُكم حينَ دَعَوتُموهُم إلى توحيدي وطاعتي؟

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (جمع).
(2) الرّاغب، المفردات: (جوب).
(3) ابن زنجلة، حجّة القراءات: 1/581.
(4) الزّجّاجيّ، اشتقاق أسماء الله، ص: 153.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المفردات: (غيب).
(6) الرّاغب، المفردات: (علم).

فيقولونَ تأدُّبًا مع اللّه، وتسليمًا لأمرِه، رادّينَ الأمر إليه: لا عِلمَ لنا إلّا العِلمَ الَّذي أنتَ أعلَمُ به مِنّا، ولا عِلمَ لنا بعاقبةِ أمرِهم، وبِما أحدَثوا مِن بَعدُ، فأنتَ تعلمُ الأمورَ الغائِبَةَ والحاضِرةَ[1].

شهادةُ الرُّسلِ يومَ القيامة على الشّعوب، وردُّ العلم إلى علّام الغيوب

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكتةُ حذف العامل، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾:

حُذِفَ عاملُ الظّرفِ ﴿يَوْمَ﴾، وتنوَّعت تقديراتُ المُفسّرين للعامل المحذوف[2]، والظّاهرُ: أنَّ كلَّ ما يصلحُ له المعنى، ويوافقُه السّياقُ، يصحُّ أن يُقدَّرَ؛ فحُذِفَ العاملُ لإفادة عُموم المعنى؛ لهولِ الموقفِ، ورهبتِه، وهَيبتِه؛ لِتَذهَبَ نَفسُ السّامِعِ كُلَّ مَذهَبٍ مُمكِنٍ مِنَ التَّهويل: فيصحُّ أن يكونَ تَقديرُهُ: يَومَ يَجمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ يكونُ هَولٌ عَظيمٌ لا يَبلُغُهُ طولُ التَّعبير فينبغي طَيُّهُ، وأصلُ نَظمِ الكلام: (يَجمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ يَومَ القيامة فَيَقولُ..)، فَغَيَّرَ نَظمَ الكلام إلى الأسلوب الَّذي وقَعَ في الآية؛ للاهتمام بالسّؤال والجواب، ولبيان شدّة ذلك اليوم المَهولِ[3]. ويصحُّ تقديرُ أيِّ لفظ يحقّقُ المُرادَ، مثلَ: احذروا أوِ اتقّوا اللّه، أوِ اذكروا يوم يَجمعُ، ويكونُ ﴿يَوْمَ﴾ على هذا التّقدير مفعولًا، وهذا الحذفُ كثيرٌ في مواقع التّهويل والتّفخيم، ومِنَ البلاغة بمكانٍ أن يكونَ الحذفُ أَزيدَ إفادةً في المعنى مِنَ الذِّكر.

عاملُ الظّرف المحذوف يُتيح للنَّفس تصوُّرَ أهوالِ الموقف

سببُ إيثارِ الرُّسُل بالسُّؤال:

تخصيصُ الرُّسُل بالذِّكر ليسَ لاختصاص الجمع بهم دونَ الأُمم، فذلكَ يومٌ مجموعٌ لهُ النّاسُ جميعًا، ولكنّ لإفادة: أنّهم أئمَّةُ الخَلقِ، وفي ضمن جمعِهم جمعُ الخلائق، فهُمُ المكلَّمونَ أوَّلًا؛ لِتقومَ الحُجَّةُ على الأمم، ويبدأَ حسابُهم على الواضحِ المستَبينِ[4].

الرُّسلُ أئمّةٌ عند الخالق، وهمُ المُكلَّمون قبل الخلائق

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/10، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 126.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 11/209، والزّجّاج، معاني القرآن: 2/218، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/690.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/98.
(4) ابن عطيّة: المحرّر الوجيز: 2/256.

ولإبانة شرفِهم وأصالتِهم، والإيذانِ بعدم الحاجة إلى التَّصريح بجمعِ غيرِهم، بناءً على ظهور كونِهم أتباعًا لهم[1].

ولأنّ الرُّسُلَ مكلَّفونَ بالتَّبليغ، والمقامُ مقامُ إجابةٍ عن ما حصلَ بعدَ تبليغ الرِّسالة.

ولإظهار أمانةِ الرُّسُل، وحرصِهم على تحرّي الصِّدق فيما يقولونَ؛ ليكونَ ذلكَ تنبيهًا على وجوب تحرّي الصِّدق في الشَّهادة، والبُعدِ عن قول الزّور[2].

وقد أشعر التّعبيرُ بـ ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ أنّهم أعلى النّاس مقامًا عندَ اللهِ، وأنّ مقامَ الرِّسالة أفضلُ من مقام النُّبوَّة.

وجْهُ إظهارِ الاسم الأعظم، في السّياق الأكرم:

إفـادةُ تربيّةِ المهابة، وإظهارِ شدّةِ الهَوْل

في إظهار الاسمِ الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ في مَوضِع الإضمار؛ تربيةُ المهابة، وتشديدُ التّهويلِ لموقف السّؤال[3].

دَلالةُ الاستفهام المَجازيِّ، وأسلوبِ التَّعريض في السّياق:

الاستفهامُ في خطاب المرسلين، توبيخٌ وتبكيتٌ للمكذّبين

أفادت ﴿مَاذَآ﴾ عمومَ السُّؤال، فبدلًا من أن يقولَ: أيَّ إجابةٍ أُجبتُم، أَإجابةُ إيمانٍ وإقرارٍ أم إجابةُ كُفرٍ واستكبارٍ؟ أإجابةُ طاعةٍ أم إجابةُ معصيةٍ؟ وهكذا[4]، أَوْجَزَ هذا الكلامَ كلَّه في لفظ ﴿مَاذَآ﴾، فالسّؤالُ هنا عن نوع الإجابة، وهو مَجازيٌّ بغرض التّقرير الّذي يليقُ بخطاب الرُّسل، وقدِ التزموا في الجواب بتفويض العلم للّه بما يناسبُ جلالَ الموقف وهيبتَه، ومع هذا ففي الاستفهام تعريضٌ بالأقوام الّذين بُلِّغوا؛ بغرض توبيخ المُكذِّبين، وتبكيتِهم، وإعلامِهم بما ينتظرُهم من عقابٍ، وإقامةِ الحُجَّة عليهم، وفي هذا الأسلوب منَ التَّحذير ما فيه.

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/298.
(2) مجموعة منَ العلماء، التّفسير الوسيط: 3/1181.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/93.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/337، ورضا، تفسير المنار: 7/202.

كما أفادَ الاستفهامُ إظهارَ علمِ اللّه بكلِّ خافيةٍ وظاهرةٍ في موقفِ الجمعِ الأكبرِ يومَ القيامةِ، ولمّا كانَ المقامُ مقامَ حسابِ الخلقِ اقتضَى ذلك إظهارَ العلمِ المُطلَقِ.

سببُ إيثارِ صِيغةِ المَبنيِّ للمفعول:

المُعوَّلُ عليه في الحساب الاقتداءُ والتِزامُ الاتّباع

وردَ الفعلُ على صيغةِ المبنيِّ للمفعول، فقال: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، وأصلُ الكلامِ: ماذا أجابَكم قومُكم؟ فقامَ المفعولُ مقامَ الفاعلِ؛ تكريمًا للرُّسُلِ، وإظهارًا لإبلاغهم الرِّسالةَ، ولإفادةِ أنَّ المُعوَّلَ في الحسابِ يومَ القيامةِ على طاعةِ الرُّسُلِ واتّباعِهم، وفيه من كمالِ تحقيرِ شأنِ الكفرةِ، وشدَّةِ الغَيظِ والسُّخطِ عليهم ما لا يَخفَى[1].

سببُ سؤالِ اللّه تعالى عمّا هو به عليمٌ:

فَضْحُ الكفرةِ على رؤوسِ الأشهادِ عُقوبةٌ لهم يومَ المعادِ

وقد يُقال: لمَ سَأَلَ اللّه الرُّسلَ عمّا هو أعلَمُ به منهم؟ وجوابُه: أنّه لمّا كفرتْ بعضُ الأممِ، ونافقوا، وكذبوا على رسلِهم بعد مماتِهم، أرادَ اللّه أن يُعلِمَ رسلَهُ بذلكَ، وليفضحَ الكفرةَ على رُؤوسِ الأشهادِ؛ ليكونَ ذلك نوعًا منَ العقوبةِ لهم[2]، ولم يسألْهم بقوله: (هل بلَّغتم رسالاتي) ؟ بل قال: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾؛ لإفادةِ خروجِهم عن عُهدةِ الرِّسالةِ بما بلّغوهُ، وقاموا به منَ التَّبليغِ المبينِ كما ينبغي[3].

سرّ مجيءِ جوابِ الرُّسلِ على خلافِ مُقتضى الظَّاهرِ:

براعةُ الإيجازِ في الجوابِ، يُغني عن كلِّ جوابٍ

كان مُقتضَى الظّاهرِ أن يكونَ الجوابُ على وفْقِ السُّؤالِ، فيجيبَ الرُّسُلُ بقولهم: (أطاعنا قومُنا أو لم يطيعونا)، أو بقولهم: (أقرّوا بتوحيدِك أو لم يُقِرّوا)، ولو أجابوا بهذا لأعقبَهُ سؤالٌ عنِ السَّببِ، فأجابوا بما ذُكر في الآيةِ؛ ليكونَ الجوابُ مُغنيًا عن كلِّ جوابٍ، وعن ما يعقبُهُ لو أجابوا بغيره، إيجازًا واختصارًا، وليظهرَ علمُ اللّهِ يومَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/93، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 4/289.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/361.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/93.

الجمع الأكبر أمامَ الخلق جميعًا، ولهذا حصروا علمَ الغيب بالله تعالى. كما أفادَ هذا الجوابُ التعريضَ بتوبيخ الكفرة، كما أشعرَ به الاستفهامُ بـ ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، وأنَّ الأمرَ لا حاجةَ فيه إلى الشَّهادة لِظهورِه[1].

سببُ إيثار النَّفي بـ ﴿لَا﴾، في قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾:

كـلُّ ما يعلمُه الرُّسلُ، هو من علمِ الله ﷻ

تدلُّ ﴿لَا﴾ النّافيةُ للجنس على أنَّ الرُّسلَ نفَوا أيَّ علمٍ حاصلٍ لهم؛ إشعارًا بأنَّ ما يعلمونَه إنّما هو مِن علم الله، فالمقامُ مقامُ التَّسليم لله تعالى، والخضوعِ لعلمه، ولهذا اختارَ الطّبريُّ قولَ ابنِ عبّاسٍ في تفسير هذه الجملة: (لاعلمَ لنا إلّا علمٌ أنتَ أعلَمُ به منّا)، كما يُشعرُ الجوابُ بالتّشكّي من أقوامِهم بما كابَدوا منهم[2]. وذهبَ بعضُ المُفسّرينَ إلى أنَّهُ ليسَ المرادُ نفيَ عِلْمِهم على الإطلاق، وإنَّما هو نَفيٌ لِعلم الإحاطة والشّمول الَّذي هو خاصٌّ بالله تعالى، لِعلْمِ الرُّسُل بظاهر ما أُجيبوا به مِن مُخاطِبيهِم، ولم يَعلَموا بواطِنَهُم، ولا حالَ مَن لم يَرَوْهُ مِن أُمَمِهِم، إلّا ما يوحيهِ تعالى إليهم مِن ذلك، وهو قليلٌ مِن كثيرٍ[3].

الاستئنافُ البيانيُّ، في قوله: ﴿قَالُواْ﴾:

التَّعبيرُ عنِ المُستقبلِ بالمُضيّ؛ دليلٌ على الوقوعِ اليقينيّ

في الآية استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من فحوى الكلام، كأنَّه قيلَ: فماذا يقولُ الرُّسُلُ ﷺ هنالكَ؟ فقيل: يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾.

وعبَّر بالماضي عنِ المستقبل الغيبيّ؛ لإفادة تحقّق الوقوع لِما تدلُّ عليه صيغةُ الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 50]، ونظائرِه. وفيه إشعارٌ بأنَّ قولَهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ قد قالوه واعتقدوه مِن قبلُ، وذكرَ

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/35.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 11/211، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/148.
(3) رضا، تفسير المنار: 7/203.

النَّيسابوريُّ سببين آخَرين: أحدُهما: أنّهُ جاء بصيغة الماضي للدَّلالة على قرب القيامة، حتَّى كأنَّها قد قامت ووقعت، كما يُقالُ: الجيشُ قد أتى، إذا قرُبَ إتيانُهم، والثّاني: أن يكونَ واردًا على الحكاية، كقول الرَّجل لصاحبه: كأنَّكَ بنا، وقد دخلنا بلدةَ كذا، فصنعنا كذا[1].

بلاغةُ أسلوبِ الحَصْر بالضّمير ﴿أَنتَ﴾:

تعدُّدُ الوسائل الدّالّةِ بيقينٍ على أنَّ العلمَ بالغيب مختصٌّ بالله ربِّ العالمين

في التّعبير القرآني: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ يأتي ضميرُ الفصل ﴿أَنتَ﴾؛ ليفيدَ الحصرَ، ويُؤكِّدَ مضمونَ الجملة[2]، والمعنى: اختصاصُ علم الغيب باللّه تعالى، وحصرُهُ به، وقد تأكّدَ مضمونُ الجملة، وهذا الاختصاصُ بـ (إنَّ)، ومجيءُ المُسندِ والمُسنَدِ إليه معرفتَيْن، وصيغةُ المبالغة ﴿عَلَّٰمُ﴾، فتتابعتِ التّأكيداتُ والتّقريراتُ على علم اللّه بالغيب؛ لِتوبيخ الكفرة على ما توهَّموه وظنّوه، ولو لم يكنِ الضَّميرُ ﴿أَنتَ﴾ للحصر لَما حسُنَ؛ لأنَّ اللّه لم يزَل علّامَ الغيوب؛ أي: فتَعلَمُ، يا ربَّنا، ما أجاب قومُنا وأَظْهَروه لنا، وما لم نَعلَمه ممّا أضمروه في قلوبهم، وفيه إظهارٌ للشَّكاة، وردٌّ للأمر إلى عِلمه تعالى بما لَقوا مِن قِبَلِهم منَ الخطوب، وكابَدوا منَ الكروب[3].

دَلالةُ وصف ﴿عَلَّٰمُ﴾، على المبالغة:

عِلمُ الله الواحد مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ

صيغةُ ﴿عَلَّٰمُ﴾ على وزن (فعّال)؛ للمبالغة، وهو أكثرُ مبالغةً من (عليم)، والمعنى: كَثيرُ العِلم؛ أي: بكَثرَة المَعلومات، وإلّا فَعِلمُهُ واحدٌ محيطٌ بكُلِّ شيءٍ إحاطةً كاملةً، ولم يَرد في القرآن انفرادُ الشّهادة بوصف اللّه بأنَّه علّام به، كما ورد في قوله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ تعظيمًا لأمر الغيب، وللإيذان بكثرته مقارنةً بعالَمِ الشَّهادة.

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/36.
(2) التّفتازانيّ، المُطوّل، ص: 388، والسّبكّي، عروس الأفراح: 1/227.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/93 - 94.

دَلالةُ صيغة الجمع للَفظ (الغيب):

ما غابَ عنِ النّاس من مكنونٍ أكثرُ ممّا هو مُشاهَدٌ بالعيون

في قوله تعالى: ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾، أفادت صيغةُ جمعِ الكثرة (فُعول) كثرةَ الغيب، ومنه: مشاهدُ البَعث، والنُّشور، وإتيانُ السّاعَة، وغيرُها، فما غابَ عنِ الخلقِ ممّا يعلمُهُ اللّهُ أكثرُ ممّا هو مُشاهَدٌ، فناسبَ مجيءُ صيغة المبالغة ﴿عَلَّٰمُ﴾ مضافةً إلى جمع الكثرة؛ إيذانًا بكثرة الغيب، وتنوُّعه، وإحاطةِ علم اللّه به كلِّه، ويؤكّد هذا التّناسُبَ بين الصّيغتَين: المُبالغةُ في ﴿عَلَّٰمُ﴾، والجمعُ في ﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾؛ إذ إنّه لمّا أُفرِد الغيبُ، ولم يُجمَع، اكتُفي معه باسم الفاعل في قولِه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجنّ: 26]، وقولِه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: 73].

دلالةُ قراءة ﴿ٱلۡغِيُوبِ﴾ بكسر الغين، على التّناسُبِ الصَّوتي:

قراءة الضمّ خفيفةٌ في اللّفظ

قرأ بكسر الغين منَ ﴿ٱلۡغِيُوبِ﴾ - حيث وقع - : حمزةُ وشعبةُ عن عاصم[1]، وقرأ الباقون بضمِّ الغين، وهي القراءةُ المشهورةُ[2]، والتّناسبُ الصَّوتيُّ أو الشّكليّ هو الغالبُ، فقراءةُ الكسر تناسبُ حرفَ الياء، لثِقَلِ الانتقال منَ الكسر (في الغين)، إلى الضّمّ (في الياء)، ولم يقرأ بها سوى حمزةَ وشعبةَ عن عاصم الكوفيِّ، أمّا قراءةُ ضمّ الغين فإنّها أخفُّ؛ لتوافُقِ حرفين متواليين في حركة واحدة (الضّمّ)، وقرأ بها الأكثرون منَ القُرّاء العشرة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجَمع والبَعث:

البَعث إخراجٌ ونشورٌ منَ القبور، والجمعُ حشرٌ للنّاس في الصّعيد المذكور

بعثُ الخَلقِ: اسمٌ لإخراجهم من قبورِهم إلى الموقفِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: 52][3]، وهذا معنى عامٌّ قد يكون مع التّفرُّق، وقد يكونُ مع الاجتماع.

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/226.
(2) العلميّ، تقريب المعاني، ص: 240.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 479.

لكنَّ الجمعَ لا يكون إلّا باجتماعٍ، وتضامٍّ، وتلاحمٍ مع تجانسٍ، كما يدلُّ استعمالُ المادّة[1]، ولذلك استُعمل في السّياق ما هو الأنسبُ لجمعِ اللّه الرُّسلَ في الموقف لتقريرهم بشأن أقوامِهم.

الرُّسل والأنبياء:

الرّسُلُ والأنبياء مبلّغون عن الله، ويختصّ الرّسولُ بكتابٍ أو شريعةٍ من عند الله

الرّسلُ: جمعُ رسولٍ منَ الإرسال الّذي هو الانبعاثُ على تُؤَدَةٍ، فيقال: ناقةٌ رِسْلَةٌ؛ أي: سهلةُ السَّير، والإرسالُ: اسمٌ عامٌّ يتناولُ إرسالَ الملائكة، وإرسالَ الرّياح، وإرسالَ الشّياطين، والرَّسولُ: يُقال تارةً للقول المتحمَّل، وتارة لِمُتَحَمِّلِ القول والرِّسالة.

ورسلُ اللّه هم الّذين يبلِّغون عنِ اللّه أمرَه ونهيَه، وهمُ المقصودون عند الإطلاق، كما في الآية الكريمة، والرّسلُ تُرسَل إلى مخالفين؛ فيكذِّبهم بعضُهم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذّاريات: 52]، وقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [فصّلت: 43]، والإرسالُ: يستلزمُ التَّحمُّلَ والتّبليغَ، والرّسالةُ: جملةٌ منَ البيان يحملُها القائمُ بها؛ ليُؤدّيَها لغيره.

أمّا الأنبياءُ: فجَمعُ نبيٍّ منَ النّبأ، وهو الخبرُ ذو الفائدة العظيمةِ، الّذي يحصل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، ولا يُقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتّى يتضمَّن هذه الأشياءَ الثّلاثةَ، فالأنبياءُ يُخبِرهم اللّهُ بأمره، ونهيه، وخبرِه، وهم يُنبّئون المؤمنين بهم ما أنبأهم اللّهُ به منَ الخبر والأمر والنّهي، فالنّبوءةُ فيها تكليفُ القيام بالوحي، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ [الحجّ: 52] يدلُّ على أنّ النّبيَّ مُرسَلٌ كالرّسول، ولكنّه لا يسمَّى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنّه لم يُرسَل إلى قومٍ إلّا بما يعرفونه، وكان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنّه حقٌّ؛ كالعالِم، ولهذا قال النّبيُّ ﷺ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»[2].

وفي ضوء هذا التّفريق فإنَّ التّعبيرَ بالرُّسل في الآية هو الأنسبُ لمقام السّؤال عنِ التّبليغ، وموقفِ الأقوامِ منه في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جمع).

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 480، والرّاغب، المفردات: (رسل - نبأ)، وابن تيميّة، النّبوّات: 2/718. والحديث أخرجه أبو داود في سننه، الحديث رقم: (3641)، والتّرمذيّ في جامعه، الحديث رقم: (2682)، وابن ماجه في سننه، الحديث رقم: (223).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»